المشرق

قصر الشمع او بابل مصر

للاب ميشال جوليان اليسوعي

ليس بعيداً من طرف مصر العتيقة من جهتها الجنوبيَّة على مسافة ٣٠٠ متر من ضفَّة النيل الشرقيَّة ترى سوراً مرتفعاً ذا منظر غريب مُفرَزاً من المنازل المجاورة لهُ فذاك هو قصر الشمع

ولهذا السور جدار يتركَّب من خمسة صفوف حجارة بين كلّ صفّ منها قِطَع من الآجرّ الضخم لا يشكُّ رائيهِ انهُ من ابنية الرومانيين. ولهُ مدخل بجانبهِ غرابة وهو عبارة عن باب وطيء مصفَّح بالحديد يُنحدر اليهِ في حَفض من الارض عمقهُ مترانِ وهو مثقوب في السور كأنَّهُ الصدع المشقوق. واذا تجاوزت عتبتهُ تراكَ في زقاق حرج قاتم بين حائطين مرتفعين استولى عليهما الخراب لا تكاد تجد في وسطهما منفذاً. وليس في ذلك الزقاق حانوت او طالب رزق ولا تسمع فيهِ ركزاً كأنَّك في ديار قفار لا يُرى فيها صافر ولا ديَّار. على انَّك اذا سرت برهةً وسُمع صوت قدميك خرج من أكواخ ضيقة بعضٌ من الصعاليك والفتيان عليهم اسمال رثَّة يعرضون عليك انفسهم ليدلُّوك على الكنائس العتيقة التي في ذلك المكان

ومن اعتبر هذا السور الفخيم والابراج التي تعلوهُ مع ما في ضمن هذه الابنية من الآثار العديدة وبقايا النصرانيَّة الخطيرة ادرك ما كان لهذا المركز الاثير من عظم الشأن اذ كانت تتَّجه اليهِ ابصار العالم الديني والسياسي في سالف الاعصار

وهذه الاسوار بقيت ثابتة زمناً طويلاً الى سنة ٦٣٨ في أيام المقوقس (١ والي مصر الرومي . وقد بُنيت مدينة الفسطاط في السهل المجاور لهذه الاسوار . قال المقريزي وغيره : والفسطاط الخيمة دُعيت به المدينة الجديدة لانَّ خيمة عمرو بن العاص كانت ضُربت هناك والفسطاط اوَّل منشإ القاهرة

والنصارى على اختلاف ملاهم منذ قرون عديدة يحجُّون الى قصر الشمع ليكرّموا في دهليز الكنيسة المعروفة بابي سرجه (اي القديس سرجيوس) المكانَ الذي حلَّت فيه العائلة المقدسة بضعة أيام عند قدومها الى مصر وفقاً لتقليد يرتقي الى عهد قديم . وقد شيَّد النصارى في قصر الشمع بيعاً فخيمة وثمَّت جعل البعضُ من بطاركتهم سكناهم ولمَّا حدثت الفتن بين نصارى مصر كان الاقباط يختارون بطاركتهم في هذا المكان ويقيمون فيه حفلةً شائقة لتنصيبهم . فصار قصر الشمع كعاصمة دينيَّة يأوي اليها القبط

ومنذ عهد قريب رأت اللجنة التي اقامتها الحكومة المصريَّة لصيانة الآثار العربيَّة القديمة ما صارت اليه ابنية قصر الشمع من الخراب فصرفت اولاً همَّها الى ترميم الاسوار المحدقة به . ومع علمها انَّ هذه الاسوار ليست من الآثار العربيَّة بل من بناء الرومان لم تأبَ ان تمدّ الى هذه البقايا جانباً من نظرها لئلا يلحق الدمار بالقليل ممَّا بقي من اعمال الدولة الرومانيَّة . وكان لاعضاء اللجنة املٌ بان يقفوا في أبان حفرهم على كتابة قديمة تفيدهم تاريخ هذا البناء وتُطلعهم على شيء من اخبار حصن قصر الشمع المجهولة . فباشر المهندسون بازالة الردم الذي كان مطموراً تحتهُ معظم الباب الروماني من جهة الجنوب ثم بثّتوا اركان البرجَين المحصّنين للباب بصوان ذي مناقذ وهم اليوم يسعون بفتح

---

١) ليس هذا الاسم علماً واغمَّا هو لقب قد اختلف العلماء في معناهُ واصل اشتقاقهِ وكذلك لم يتَّفق المستشرقون على هلَّة المقوقس وعلى اسمهِ الصحيح فالبعض يدعونهُ جرجس بناس بركيو وكان يعقوبياً . وقد اثبت مؤخراً العلَّامة الانكليزي بُتلر ان المقوقس هو الاسقف الملكي كيروس كان هرقل الملك جعلهُ نائبهُ في مصر . وكان سابقاً اسقفاً على مدينة فاسيس في بلاد قوقاز وقيل انَّهُ دُعي المقوقس اشارةً الى اصلهِ هذا (κωκάσιος) وشرح البعض اسم المقوقس بمعنى الفاجر لخيانتهِ اشتقُّوهُ من اليونانيَّة « κακόηθος » . وقيل معناه المتقدّم والله اعلم (Butler : on the *identity* of «al-Mukaukis» *London* 1901

الطريق التي كانت تؤدي سابقًا الى المدينة وفوق هـذه الطريق كانت مبنية كنيسة عتيقة تدعى كنيسة المعلقة. وقد تكلفت اللجنة على هذه الاعمال الخطيرة تكاليف باهظة لا تقلّ عن ٨٠.٠٠٠ فرنك غير انها لم تجد حتى الآن شيئاً مما أملتهُ بخصوص تاريخ هذا الحصن المنيع

وقد احببنا نحن ايضاً ان نبحث عن اخبار قصر الشمع لعلّنـا نكشف شيئاً من الحجاب المسدول دون اصلهِ القديم واصل السور الذي يكتنف بهِ فتفيـد قراءتنا علماً بآثر مصر العتيقة

*

لا مشاحّة ان هذا القصر كان يُدعى في عهـد الدولتين اليونانيَّة والرومانيَّة باسم بابيلون او بابل وربَّما اضافوا اليهِ اسم مصر فقالوا بابيلون مصر. وفي كتاب رحلة انطونين ان بين عين شمس (هيليوبوليس) وبابيلون اثني عشر ميلًا وهي بالتقريب المسافة التي تمتدُّ من مسلَّة عين شمس الى قصر الشمع. وجاء في قائمة مصونة في خزانة كتب اوكسفرد تتضمَّن اسماء المدن الاسقفيَّة في مصر انَّ بابلون (وهي بابيلون) والفسطاط مكان واحد (١. ولا يزال اسم بابيلون محفوظاً باقياً الى يومنا في اسم «دير بابلون» وهو دير للاقباط تدعوهُ عامَّتهم «دير دباون» موقعهُ على منتهى قدم من السور الروماني في جنوبيهِ

اما اصل هذا الاسم الغريب فقد ورد في تواريخ اليونان. قال ديودورس الصقلي (٢ ان سيسوستريس (رعمسيس الثاني) لمَّا غزا بابل في العراق جلب منها عدداً من الاسرى الى مصر فاعتصبوا على اهلهـا وتمكَّنوا من فتح قامةٍ دعوها باسم بلدهم بابيلون فتحصَّنوا فيها وجعلوا يشنُّون الغارات على البلاد المجاورة لها. ولم يزالوا على ذلك حتى ضايقهم جند المصريين فطلبوا الامان وخضعوا للسلطان

وقد عاين المؤرخ اسطرابون (٣ بابيلون في رحلتهِ الى مصر وهو يدعوها حصناً

١) راجع جغرافية مصر السفلى (J. de Rougé, p 155 Paris 1891)

٢) راجع تاريخهُ ك ١ ع ٥٦

٣) راجع جغرافيَّتهُ (ك ١٧ ف ١ ع ٣٥) ولا شك ان اسطرابون اشار في الكتاب ذاتهِ الى هذه المستعمرة البابليَّة عند ذكرهِ صنفاً من التردد يدعى كيبوس (κίβδος) يبدهُ البابليون المقيمون بجوار بثف

حوزًا سهلًا. قال: « وفي هذا المكان ركن البابليون الى الثورة ثمّ نالوا من فراعنة مصر محلًا يأرون اليه ». وهكذا ورد في تاريخ كتيسياس(١. ولفلافيوس يوسيفوس اليهودي(٢ رواية تختلف عن روايات اليونان بعض الاختلاف وهو يزعم انّ بابيلون مصر بُنيت باسم قباسيس ملك الفرس سنة ٥٢٥ قبل المسيح بناها جنوده بعد فتحهم للقطر المصري

امّا العرب فقد اختلفوا في اصل تسمية بابيلون ومشيّدها فهم يدعونها بابليون وينسبها بعضهم الى بابليون بن سبا. وبعضهم يدعونها باب ليون او باب اليون قالوا ان ليون اسم مصر بلغة السودان. واكثرهم يوافقون ابن سعيد وهو افتيخيوس المعروف بابن البطريق وينسبون قصر الشمع الى ملوك الفرس بنوهُ لمّا ظهروا على الروم (٣

ولمّا فتح المسلمون هذا الحصن دعوهُ باسماء شتى فسموهُ قصر الروم ودير النصارى ودير مار جرجس وقصر الشام (٤ ثم شاع بينهم وبين الاقباط اسم « قصر الشمع ». وفي هذا الاسم الغريب اشارةٌ خفيّة الى اسم بابيلون السابق ذكرهُ لان معنى بابيلون في الكلدانيّة القديمة « باب ايل » وايل عظيم آلهة البابليين كثيرًا ما يريدون به الشمس والنور فيكون اذن معنى بابيلون باب النور او مقام النور (٥

وكذلك ترى في روايات مؤرخي العرب عن قصر الشمع ما يدلُّ على هذا المعنى. وقد جمع المقريزي اقوالهم في كتاب الخطط والآثار (١: ٢٨٧) فنقل عن الواقدي انّما دُعي بذلك لان هذا القصر كان يوقد عليه الشمع في ليلة رأس الشهر عندما تحلُّ الشمس في برج من البروج. ونقل عن غيره « انّ الفرس بنوا هذا القصر وجعلوا فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقي وعُرف بقصر الشمع لانهُ كان لهُ باب يقال لهُ باب الشمع » وروى عن القضاعي انّ فارس لمّا ظهرت على الروم « بدأت ببناء هذا القصر وبنت فيه هيكلًا لبيت النار . . . وهو القبّة المعروفة اليوم بقبّة الدخان وبحضرتها مسجد معلّق احدثهُ المسلمون (٦»

---

١) راجع القطع التي نشرها منهُ دندورف (Dindorf, L. II, p. 13)

٢) راجع كتابهُ العاديّات اليهودية (ك ٥ ف ٢)

٣) راجع الخطط للمقريزي في طبعة بولاق (١: ٢٨٧) وتاريخ ابن بطريق في اعمال آباء اليونان لمين (المجلد ١١١ ص ٩٦٧) ٤) راجع معجم البلدان في مادة « قصر الشمع »

٥) قد اتينا في هذا الشرح ما كتبهُ دوبوا اماي (Dubois-Aymé) في وصف مصر (Expédition française V, 60) ٦) راجع ايضًا معجم البلدان لياقوت (٤: ١١٣)

*

فاكثر هذه الروايات تجيز لنا القول بانَّ قوماً من الفرس بعد فتوحات قمبيس وداريوس احتلوا في قصر الشمع وانَّهم دعوا سكنهم باسم عاصمة بلاد العراق لما وجدوا من الشبه بين المقامين ووقوع كليهما على ضفَّة نهر عظيم . كما انهُ لا بدع في كونهم اتخذوا ديانة اجدادهم وعبدوا الشمس والنار. ويؤيد هذا القول ما اكتشفهُ اصحاب العاديات من الآثار الدينية في جوار قصر الشمع مما يشبه الآثار المكتشفة في هيكل الفرس القديمة منها مصابيح ومجامر وغير ذلك مما يختصُّ بالمناسك الدينية عند المجوس (١

على ان في كل هذه الروايات القديمة بعض التباين لاسيما انَّ اقدمها لا يتجاوز عهد اوغسطوس قيصر فوجد العلماء المحدثون في كلامهم مجالاً للحدس والتخمين فجعلوا يبحثون عن تاريخ بابيلون مصر ويتقوَّلون على اسمها أقاويل لا تخلو من بعض الاهميَّة. قال العلامة مسپيرو (٢ انهُ من المرجَّح ان اسم بابيلون يشتقُّ من با نبونو او بارْبونو او بابونو الذي ورد في صورة « هات بانيونو » ويدلُّ على احد احياء مدينة عين شمس او بالحري على قرية قريبة منها كما ورد في قاموس بروغش الجغرافي (ص ١٩٤—١٩٥)

فعلى هذا القول يكون اسم بابيلون مشتقًّا من لفظة مصريَّة هي بانبونو فصارت بالتصحيف بابيلون وعلى هذا الاسم المصحَّف بنى اليونان القصَّة التي رويناها عن ديودورس الصقلي . ولنا في ذلك مثال آخر في اسم مدينة طروه الواقعة على ضفَّة النيل كان قدماء المصريين يدعونها طرويو (Troiou) فجعلها اليونان طرويه (Troia) كعاصمة بلادهم لما يوجد من الشبه بين الاسمين. فلمَّا جرت هذه الاسامي المصحَّفة على ألسنة اليونان اخذ المحدثون منهم في الطور المعروف بالساني (époque saïte) يختلقون لها الروايات المختلفة لبيان اصلها الموهوم من البابليَّة او الكلدانيَّة او اليونانيَّة

---

١) وهذه الآثار هي في يد الدكتور فوكه (Fouquet) وُجدت في الاكمة القريبة من قصر الشمع وهي من حجر ارمد اللون أُتي به من بلاد بعيدة وفي متحف اللوفر في باريس قطع شبيهة بهذه الادوات وجدها السيو دي سرزك (de Sarzec) في العراق وهي اليوم مدودة في جملة الادوات المختصَّة بدين المجوس. ورسم السيو غايه (Gayet) بعضها في كتابه عن « الصناعة الفارسيَّة » (ص ٢١ و ٢٢)

٢) راجع كتابهُ تاريخ الشعوب القديمة في الشرق (ج ٢ ص ٤٤١ في الحاشية ٢—١٨٩٧)

هذا هو رأي العلّامة مسپرو بيد انَّ غيرهُ من العلماء بالعادّيات المصريّة ومنهم بروغش (Brugsch) ودي روجه (de Rougé) زعموا ان بابيارون مصر هي بلدة خيرو (Khérau) القديمة اللاحقة بمدينة عين شمس (١ . وقال بروغش في محلّ آخر انّ عين شمس المذكورة (اي هيليوبوليس) كان يدعوها قدماء المصريين هابنين وهو اسمٌ مقدّس عندهم

وقد جاء حديثًا في مجلة المكتب المصري (٢ رأي ثالث لمسيو كازانوفا احد اعضاء جمعيّة العادّيات المصريّة في القاهرة وهو على ظنّنا خير من الرأيين السابقين قال: ورد في الكتابات المصريّة القديمة انهُ كان في سالف الاعصار هيكلٌ ليس بعيدًا من دير الاقباط المسمّى دير بابيلون. وفي هذا الهيكل كان كهنة المصريين يُحلّون بقرة أبيس معبودتهم لتستريح برهةً لمّا يسيرون بها من منف الى عين شمس. وكان اسم هذا المقام في القبطيّة « پي اپين اون » اي مقام ابيس في سيرها الى أون اي هيليوبوليس. فحرّف اليونان هذا الاسم وجعلوهُ « بابيارون ». وعلى رأي هذا العلامة انَّ موقع « خيرو » في عبر النيل بازاء منف ويزعم انّها مدينة حلوان

هذه آراء متباينة اثبتناها هنا والله اعلم بصحّتها ولعلَّ الاكتشافات المستقبلة تؤيد يومًا ما اوردهُ المؤرخون اليونان والعرب في نسبة بابيلون الى مستعمرة بابليّة او قل بالحري فارسيّة

*

امّا زمن انشاء بابيلون فان سكوت هيرودت المؤرخ عنها يبيّن جليًّا انها لم تكن بعدُ بُنيت في عهده او انها كانت بلدة صغيرة خاملة الذكر. ومن المحتمل انَّ بناءها حدث بعد سنين قلائل لمّا اغار داريوس الثاني على المصريين وكانوا انتقضوا على ولاته سنة ٣١٤ قبل المسيح

ولا غرو ان موقع بابيلون في رأس مصر السفلى فوق الرُّبى المشرفة على النيل يكون استلفت نظر الرومان. فاتخذوها في اوّل عهد فتحهم للقطر المصري كحصن منيع جعلوا فيه حاميتهم. وقد اخبرنا اسطرابون الذي زارها سنة ٢٥ قبل المسيح واحدى عشرة سنة

١) راجع قاموس بروغش الجغرافي (ص ٦٢٥) وجغرافية مصر السفلى لدى روجه (ص ٨٧).
٢) في عددها الاول من السنة الجارية

بعد الفتح الروماني انهُ وجد في بابيلون معسكر احدى الفرق الجنديَّة الثلاث التي كانت مرابطة في الثغر المصري (١

ومما اخبر بهِ ايضاً « انهُ رأى بين معسكر الجيش والنيل اكمةً . وكان نحو مئة من الفعلة يُصعدون الماء من النهر بواسطة نواعير وادوات لولبيَّة . ومن اعلى الاكمة المذكورة يرى الناظر الاهرام التي موقعها بقرب منف في عبر النهر ليس بعيداً (٢ ». فمن هذا الكلام يُستدلُّ على انَّ المعسكر لم يكن في وسط السور الحالي بل على الربوة الصخريَّة التي تطلُّ عليهِ من جهة الجنوب بجوار دير بابلون (٣ . ولو كان الجنود سكنوا في بُحيرة السور لما احتاجوا الى عملة ونواعير ليصعدوا الماء بل كان حسبهم ان يحفروا قليلاً في الارض ليتبجَّس منها الماء

ويؤخذ من قول اسطرابون عن منظر الاهرام من المعسكر ان الفرقة الرومانيَّة كانت ضاربةً قسماً من خيامها في مشارف الاكمة لان الاهرام لا تُرى من وطإ الارض وليس ربوة أُخرى بقرب قصر الشمع الَّا في جنوبيهِ وهي توافق تماماً الوصف الذي دوَّنهُ اسطرابون في رحلته . والمصريون يدعون الجبل الذي تتصل بهِ هذه الاكمة جبل جيوشي اللاحق بجبل المقطَّم وهي تمتدُّ الى قرب دير مار ميخائيل حيث ترى الى اليوم آثار ميل النيل سابقاً لان التربة تنحرف هناك انحرافاً باغتاً وتحت هذا الفرز قناةٌ للماء حفرها الرومان (٤

وقد دلَّ العلَّامة فورمون (Fourmont) في رسم القاهرة الذي نشرهُ نحو سنة ١٧٥٠ على آثار عديدة رومانيَّة كانت تُرى في عهدهِ مشوَّهةً فوق هذه الاكمة واليوم لم يبقَ منها شيء . ولعلَّ هذه الآثار كانت تنبئ بمقام الكتيبة الرومانيَّة . والمرجَّح انَّ الاهلين نقلوا حجارتها لابتناء المطاحين الهوائيَّة التي هناك

بيد انَّ الرومان بعد ان اختاروا هذه الاكمة لصلاحها للمدافعة والتحصين لم يلبثوا

---

١) بيدنا كتاب تعريف الرتب (Notitia dignitatum, ed. Seeck p. 59) انَّ الفرقة الثالثة عشرة كانت محلة في بابيلون والفرقة الخامسة المقدونية في منف

٢) راجع جغرافية اسطرابون (ك ١٧ ف ١ ع ٣٥ ص ١٤٤٦ من طبعة كرخر)

٣) راجع الخطط للمقريزي

٤) راجع كتاب الفرد بُتلر في كنائس الاقباط القديمة (ج ١ ص ١٧٧)

ان يجدوا لها خالاً وهو بُعدها عن الماء فخافوا ان يحاق العدو حولها فيقطع عنهم ماء النيل وذلك ما حمل ولاة مصر ان يحوّلوا المعسكر فيجعلوهُ في سفح الجبل الّا ان هذا الامر كان يستدعي تشييد سور منيع وابراج متينة تقوم في وجه العدو اذا ما طرأ على الحامية . فمن ثمَّ اقاموا السور الذي هو باقٍ حتى يومنا وشيَّدوهُ حول بلدة بابيلون فصار اهلها في وسط حصن حريز يدافع عنهُ الجند الرومانيون ويمتنعون بهِ من غارات العدى

*

اما تاريخ بناء سور قصر الشمع فهو مجهول وانما يمكننا القول فيهِ أن اسطرابون لم يرَهُ لمَّا قدم بلاد مصر . ولو كان مشيَّدًا لما ضرب عن ذكرهِ صفحًا وهو من الابنية المعدودة التي تدلُّ على سطوة الرومان وتأنُّقهم بالمباني الفاخرة في البلاد الغريبة الخاضعة لدولتهم

وقد ارتأى البعض انَّ هذا البناء يرتقي الى زمن القيصر طرايانوس وكان هذا الملك امر بحفر قناة تُوصل النيل ببحر القازم وهي القناة المعروفة بالنهر الطرايانى (amnis trajanus) فيزعمون انهُ شيَّد قصر الشمع لحراسة رأس القناة الواقع قريباً من هناك عند « فم الخليج » بجيزة الى الشمال . فان رجح هذا القول كان عهد القصر نحو السنة المئة بعد المسيح . الّا انَّ ارباب العاديّات لا يرون في النقوش الباقية من هذا الاثر القديم ما ينطبق مع هندسة ذلك العصر . فانَّ الافاريز والنقوش النائتة المرسومة على الباب والنسر الروماني الجاثم فوقه كلُّها في هيئة من السذاجة تدلُّ على انَّ هذا القصر اقرب الينا عهدًا . ولعلهُ من ابنية الملك بروبس (٢٧٦ — ٢٨١) فانَّ هذا القيصر ممَّن اغنوا ارض مصر بالمباني الحسنة كالهياكل والجسور والاروقة والقصور (١

ومن المحتمل انَّ قصر الشمع بُني بعد بروبس بمدَّة اعني بعد ظهور النصرانية في القطر المصري . ومما يحملنا على هذا القول . انَّ البرج الروماني الفاخر الذي يعلو كنيسة القديس جرجس في الطبقة السفلى مزدان بعمودين من عهد البناء القديم على رأسيهما نقوش تمثل ورق الشجر وفي وسط الورق صليب تامّ الصورة . فهذان الصليبان تحتما بلا شك في زمن تحت العواميد وهما يدلّان على تغلُّب النصرانية في تلك الاصقاع . ولنا

(١) راجع المؤرخ جيبون (ف١٢) وكتاب الفرد بتلر السابق ذكرهُ

ما يؤيد هذا الرأي في اعمال القديس تيل الشهيد المكتوبة بالقبطيَّة ومما يُخبر عنهُ انَّ المقتصبين اكرهوهُ على الخروج من بيت والدهِ في السادسة عشرة من عمره واوغموهُ على الانتظام في سلك الجنود المقيمين في بابيلون جنوبي مدينة اون (هيليوبوليس او عين شمس) فخدم مدَّةً تحت قيادة ضابط اسمهُ كاليسترات حتى قدم والي مصر المدعو اريان فحلَّ بابيلون وجمع الكتيبة الرومانيَّة وامر الجند بان يسجدوا للاوثان . . . فامتنع تيل وقُتل شهيد ايمانهِ (١

على انَّ الاضطهاد لم يُفد المقتصبين شيئاً فانَّ نصارى بابيلون لم يزالوا في ازدياد ونموّ حتى اقيم لهم اسقف يرعاهم (٢

ولمَّا صارت مصر تحت حوزة ملوك القسطنطينية جعل عمَّالهم مركز التدبير في الاسكندريَّة على انهم كانوا يتردَّدون من وقت الى آخر الى قصر الشمع وكان النيل في ذلك العهد متصلاً بالسور الهُ مقياس وسط القصر وكانت القوارب والسفن ترسو عند الباب الغربي بين البرجين الضخمين الواقعين من جهة الغرب . والبرج الواحد منهما تراهُ يوماً حاملاً لكنيسة القديس جرجس . اما الآخر فقد صار خرابًا . ولعلهُ كان امام الباب الجنوبي خندق مملوء ماء وجسرٌ للعبور عليهِ . ينتج ذلك مما اكتشفهُ ثمَّت حديثاً المهندسون فانهم وجدوا الارض في عمق مترين تحت عتبة الباب مفروشة بالبلاط ففي ايَّام فيضان النيل كان هذا الخندق يُغمر بالمياه

وبقي قصر الشمع على حالهِ الى عهد الفتح الاسلاميّ فبنيت الفسطاط وتحوَّلت بتمادي الزمان الى مدينة القاهرة . وكان بناء الفسطاط في السهل المحدق ببابيلون كما ذكر المؤرخون . فيظهر من ذلك انَّ اقدم ما يوجد اليوم في القاهرة من الآثار انَّما هو محصور في ضمن السور الذي وصفناهُ وهناك الكنائس القديمة لاسيما كنيسة ابي سرجه والدير الذي تحتها حيث اخذت العائلة المقدسة نصيباً من الراحة في اثناء قدومها القطر المصري

ومما يُذكر فيُشكر انَّ عمرو بن العاص لم يخرب قصر الشمع والمعابد الدينيَّة التي كانت وسطهُ ولم يسمح لجندهِ بان يقتسموا ملك هذا القصر كغنيمةٍ بل جعلهُ وقفًا .

---

١) راجع Quatremère : *Mémoires geogr. et histor. sur l'Égypte* I, 45 *et seqq.*

٢) راجع كتاب الشرق المسيحي للوكيان (ج ١ ص٢٨٧)

قال ابن عبد الحكم: واقرَّ عمرو بن العاص القصر لم يقسمهُ ووقفهُ (١ . وبقي النصارى وخصوصاً الاقباط اليعاقبة في قصر الشمع عائشين في الامن والراحة . ويظهر من عدَّة كتابات قبطيَّة مخطوطة على البرديّ (٢ انَّ هذا القصر اضحى نقطةً مهمةً للتجارة مع بلاد الصعيد

وكان نصارى مصر اذا اصابتهم النكبات يلتجئون الى هذا القصر ويعدّونهُ كمركز ديانتهم . وقد ورد اسمهُ غير مرَّة في تاريخ البطاركة الاقباط (٣ . ففي هذا المكان في كنيسة ابي سرجه وقع الاختيار على شنُّوده التقي فجُعل بطريركاً سنة ٨٥٩ واليهِ يعود الفضل في تحسين الحروف القبطيَّة . ولمَّا كانت السنة ١٠٧٤ أُقيم خرستودولس بطريركاً وأُعلن انتخابهُ في كنيسة المعلَّقة . فنشأ من ذلك خصام كبير بين اصحاب الكنيستين (٤ ومذ ذاك العهد صار التقدُّم لكنيسة المعلَّقة التي تلف معظمها سنة ١٣٢٩ بحريق دهمها (٥

وكان النصارى وحدهم يسكنون اولًا في قصر الشمع . ولمَّا كانت السنة ٨٨٠ ركبت الديون عاتق البطرك اليعقوبي ميخائيل الثالث ووجد انَّهُ قاصر عن وفائها للخزينة السلطانيَّة فباع لليهود اوقافاً كثيرة في قصر الشمع (٦ . وظن انَّ بيعة القديس ميخائيل دخلت في حوزة اليهود في ذلك العهد فحوَّلوها الى كنيس

امَّا اليوم فلا ترى في قصر الشمع غير نفر من كهنة الاقباط والروم الارثدكسيين وقوماً قليلًا من فقراء النصارى من النخلتين وبعض الراهبات القبطيَّات مع فئة من اليهود . وهؤلاء مقيمون في هذا المكان يشهدون لهُ بما كان عليهِ في القرون الخالية من عظم الشان ويحفظون آثارهُ الدينيَّة لا سيَّما ذكر يسوع الطفل في متفاهُ . اعاد الله هذه الامكنة الى بهائها السابق

---

١) راجع الخطط المقريزي ١ : ٢٨٧ و ٢ : ٥١٠ ٢) راجع Mittheilungen aus der Sammlung der Papyrus Erzh. Rainer T. V, *fasc.* 1, 2, SS. 23, 45

٣) راجع تاريخ البطاركة الاسكندريين لساويروس بن المقفَّع (في نسخة مكتبتنا الشرقية) وتاريخ رينودوت Renaudot : *Hist. Patr. Alexandrinorum*

٤) راجع الشرق المسيحي للعلَّامة لوكيان (ج ٢ ص ٤٨٣)

٥) راجع تاريخ ابي الفداء طبعة الاستانة (٤ : ١٠٩)

٦) الشرق المسيحي للوكيان (ج ٢ ص ٤٧٤)